

على الخلاف

مشروع باريس للحل:

واشنطن. وكان بعض الفريق الحريري يرفع صوته مستغيثاً هناك. حتى إن أصواتاً علت بعبارة من نوع «الخبانة» و«التخلي»... فتحرك جيفري فيلتمان. في 17 تشرين الأول وصل إلى بيروت أتياً من الرياض. وفي اليوم التالي كان في باريس، بعدما علم من أكثر من عاصمة، بالنيات الفرنسية، حيال «الجنرال المارق». في العاصمة الفرنسية، حُيّم

طويل عن اللقاء. للمرة الأولى منذ تعيينه ربما، يكتب بيتون ثلاث صفحات. عادةً لم تكن تقاريره تتعدى الأسطر العشرين. ثلاث صفحات، يُروى في باريس، أنها حملت أكثر من إشارة مقلقة: الشيخ لم يطمئناً. أجوبته كانت ملتبسة. قال إن حزبه يضمن أمن قوات الأمم المتحدة. لكن ماذا إذا تعرض الحزب لهجوم أجنبي قاتل، من نوع الاتهام الدولي؟ أو ماذا لو تحركت جهات أصولية في هذه الأثناء؟

استنفرت العاصمة الفرنسية مجدداً، وراحت بطاقات «السياسة المقترحة»، تتناقل بكثرة بين المكاتب، من «الكي دورسيه» إلى الإليزيه. وبينها كلها قاسم مشترك واحد: علينا أن نفعل شيئاً ما، علينا أن نتحرك... وسط السؤال عن ماهية الخطوة الأولى، برز اسم ميشال عون: فالجنرال الذي غادرنا قبل خمسة أعوام ونيف، من دون أن يودعه الإليزيه كما يجب، له علينا حق الاستقبال، كما لم يكن الوداع.

والجنرال الذي أعطيناه كل الوعود والعهود، في ذلك الاتصال الهاتفي، عشية تنازله عن حقه الديموقراطي برئاسة الجمهورية، له علينا حق السؤال عن «أين أصبح وأصبحنا».

والجنرال الذي عرف كيف يفتح باب دمشق قبلنا، بجسد تمنى الأصدقاء هناك، بسماع أكثر من رأي في بيروت. وأخيراً الجنرال الذي يروى أن ثمة من أوصى بكتابة اسمه على كفنه إذا ما استشهد، تكريساً لدينه عليه «إلى يوم القيامة»، قد يكون أفضل من يقدر على مخاطبة حزب الله، بالواسطة، أو للسؤال عن احتمال التواصل مباشرة، بين باريس وحرارة حريك.

نتيجة هذا التراكم، فتح سجل المواعيد الرئاسية في قصر الإليزيه، وسجل عليه اسم ميشال عون، يوم 3 تشرين الثاني. لكن الموعد المحدد لم يصل إلى صاحبه. ذلك أن زائراً آخر كان قد وصل إلى القصر الفرنسي، قبل نحو أسبوعين.

فيلتمان يتدخل وليفيت يتصرف

كانت كل تلك الأجواء، المجمععة من بيروت ودمشق والرياض وباريس، تصل إلى

غير أن هذه التأثيرات لم تكن لتفرض تغييراً سريعاً وفورياً في الأولويات. فلدى الرئيس الفرنسي ملفات أخرى داهمة: شعبيته المتراجعة، مشروع إعادة انتخابه سنة 2012، الملفات الاقتصادية والاجتماعية الداخلية، ضرورة الملمة اليمن، وسط الاتجاه نحو تكوين معسكر وسطي جديد، على خلفية التعديل الحكومي (بورلوو - موران...) وسواها من الملفات الأعلى تراتبية، لدى ابن جيل الثمانينيات في السياسة.

فجأة، أضيف عنصر آخر: تقارير متتالية من السفارات الفرنسية في بيروت وجوارها، تدق شيئاً ما، يشبه جرس إنذار: الوضع في لبنان مازوم جداً. وثمة مخاطر عدة قد تنتج من أي انفجار يحصل في بيروت، على خلفية المحكمة الدولية وملحقاتها. فالموضوعات التي على المحك كثيرة: آخر موطن قدم سياسي فعلي لفرنسا على شرقي المتوسط، الاستثمار مع سوريا، المصالح الفرنسية الاقتصادية والتجارية على نطاق أوسع من لبنان، الأصدقاء والحلفاء في بيروت... وأخيراً الوحدة الفرنسية ضمن قوات اليونيفيل في الجنوب. حيث يقول العارفون إن أكثر من خبير وعارف ومسؤول فرنسي، كان يسأل في الفترة السابقة: كم تابوتاً يمكننا أن نحتمل رؤيته أمام الإنفالد، قبل انهيار الوضع الفرنسي الداخلي، وتعرض الكثير للاخطار؟ ألا تكفينا كابول؟

كل ما سبق يمكنه الانتظار. لكن الكلام الأخير صداه فوري، وخصوصاً إذا كان الأمين العام لقصر الرئاسة الفرنسية، جان - كلود غيان، يحمله ويكرره ويذكر به كل يوم... عندها تحرك الإليزيه حيال البند الأخير.

طلب من السفير الفرنسي في بيروت مقابلة السيد حسن نصر الله لإثارة قضية الجنود الفرنسيين في الجنوب تحديداً. لم يأت الجواب بتحديد موعد مع الأمين العام لحزب الله لأسباب أمنية خاصة، فكانت الإحالة على نائبه الشيخ نعيم قاسم. حصلت المقابلة. في اليوم التالي، كانت الحقيبة الدبلوماسية الفرنسية الآتية من بيروت إلى باريس منقولة بتقرير

بين الفنادق الموزعة على الشوارع المتفرعة من «الشان»، والشقق الخاصة المنتشرة في «جزيرة فرنسا»، يؤكد محترفو الاستطلاع والرصد في مطار شارل ديغول، أن نصاباً وزارياً ونيابياً لبنانياً شبه كامل، كان موجوداً في العاصمة الفرنسية في اليومين الماضيين. موسم الأوكازيون لم يبدأ بعد، وموسم الأضحى في مكان آخر يفترض... غير أن موسماً أكثر أولوية اقتضى مجيئهم: ميشال عون في الإليزيه، إنها بداية الانقلاب، أو نهايته... فألى باريس دُر

الأخرين، ولا تظل معهم راكداً بعيداً عن المهمة - الهدف - الوصول... شيء كثير من ذلك الدرس الذي عمره نصف قرن، كان حاضراً مع عون في باريس في الأيام الماضية.

قصة الدعوة والتحرك الفرنسيين

من دون أوهام ولا إحباط بدأت القصة، كما يرويها العارفون. منذ أشهر، كان الرئيس الفرنسي عرضة لتأثيرات عدة: أولها، هذا القرار الشخصي بأن يثبت لشركائه الأميركيين أن انفتاحه على دمشق أثمر، ويثمر.

ثانيها، تكون رأي غالب في الحلقة القريبة منه في قصر الإليزيه، في أن موازين «الشرق الأدنى» تغيرت فعلاً.

ثالثها، كلام سوري دائم ومتكرر، ناصحاً بأن من عناوين الخروج من المرحلة الشراكية، الانفتاح على جميع اللاعبين في المنطقة، وخصوصاً في لبنان، والاستماع إلى مختلف الآراء، لا الاكتفاء برأي واحد، كما فعل «أبو كلود» طوال أعوام، على طريقة: «فرنسا يختصرها شخصي، ولبنان يختصره شخص صديقي».

جان عزيز

كان ميشال عون ملازماً حديث التخرج من المدرسة الحربية، حين قدر له أن يتعلم أحد أهم دروسه في السياسة والقيادة والحياة العامة. يومها عُيّن مسؤولاً عن الرياضة العسكرية في مخيم تدريبي، على سفح جبل صنين. كان عليه كل فجر أن يأخذ سرية مندرية، ويذهب بها مشياً نحو القمة. يوماً بعد يوم، اكتشف الملازم الشاب أن سرعة البشر في بلوغ الأهداف التي يريدونها، وفي تسلق القمم التي يواجهونها، متباينة. وإن كانوا ضمن مجموعة تنظيمية واحدة. فإذا أسرع القائد في خطاه، وجد نفسه بعد قليل وحيداً، وخلفه شرادم متباعدة. وإذا أبطأ، تدافعت مجموعته وتلاطمت، وتأخر الجميع عن الوصول... بعد أيام قليلة، أدرك ميشال عون أن سر القيادة، هو في أن تدرك ذلك الإيقاع المثالي للسير في الطليعة والمقدمة وعلى الرأس: بين أن تتقدم - منسجماً مع رؤيتك التي يتأخر عنها الناس أحياناً أو غالباً أو دوماً - وبين أن تظل قادراً على جمع الصف خلفك. فلا تصل راكضاً وحيداً، فيما مهمتك إيصال

تقرير

عون يرفض تسوية «اللاقت صاد للحريري»

نائر غندور

في اتصال هاتفي جرى أخيراً بين رئيس تكتل التغيير والإصلاح النائب ميشال عون والأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، قال الجنرال للسيد إن «مماثلة الفريق الآخر في إنجاز ملف شهود الزور وغيره من الملفات ستطول، ويُمكن أن تمتد لسنوات وأنت تُصبح في لاهي». أجابه نصر الله: «الله يخليك بالهمة يا جنرال». بعد هذا الاتصال، قرّر عون أن يكون «بهذه الهمة». أعلن أنه لن يُشارك في طاولة الحوار إلا بعد الانتهاء من ملف شهود الزور، وأنه لا جلسة لمجلس الوزراء «لا يكون على رأس جدول أعمالها ملف شهود الزور».

بالحد الأدنى. ووفق المعطيات السياسية، يُمكن القول إن سوريا تتبنى وجهة نظر عون في الحسم، سريعاً ونهائياً.

- يرفض عون، مطلقاً، منطلق 7 أيار: أي منطلق ممارسة ضغط في الشارع بهدف الوصول إلى تسوية سياسية ظرفية لا تُحدث تغييراً جوهرياً، وهو يعتقد أن أي عمل في الشارع يفترض أن تكون نتيجته حاسمة ولرة واحدة في إطار بناء الدولة.

في المقابل، فإن التسوية السياسية التي يُعمل عليها بين السعودية وسوريا، بهدف تجنّب تفلّت الأمور لبنانياً، والتي تقتضي بأن يقوم رئيس الحكومة سعد الحريري بسلسلة خطوات تؤدي إلى القضاء على المحكمة أو الانتهاء من مفاعيلها المحلية كلها؛ تتضمن ثمناً يفترض أن يقبضه

آخر، ويُقتل الضمان الاجتماعي تدريجاً، في ظل غياب خطط تطوير الكهرباء والمياه والاتصالات ومواجهة التحديات المستقبلية في هذين القطاعين. وأُغرق البلد بأكثر من 60 مليار دولار من الديون تحت عنوان إعادة الإعمار، التي تمركزت في وسط بيروت وفي أماكن مختلفة بعيدة كل البعد عن الإنماء، متوازناً كان أو غير متوازن.

يُضاف إلى هذا، أنه لا أحد عمل على خلق توازن في الاقتصاد اللبناني، فترجع قطاعي الزراعة والصناعة في السلم أكثر من تراجعهما في الحرب، وقد تسلم الريعيون الاقتصاد المحلي.

باختصار، إن هذه السنوات الخمس عشرة لم تعمل على تطوير الدولة اللبنانية، ولو

وحكم البلد حتى عام 2005، بوصاية ثلاثية طبقت سياستها دمشق وحلفاؤها المحليون. لكن هذه التسوية لم تستطع إنجاز تحول حقيقي في النظام السياسي المفترض أن يكون ديموقراطياً، وهي أسهمت إلى حد بعيد في إبقاء الجمر تحت الرماد. ما عاد واشتعل في عام 2005 على نحو مختلف. وهذه التسوية لم تعمل على ترسيخ أسس بناء الدولة على صعيد المؤسسات: فلم يُسلح الجيش ليكون قادراً على الدفاع عن أرضه، ولم تصبح القوى الأمنية قادرة على ضبط الأمن الداخلي. أمّا المؤسسات المدنية فأغرقت بالفساد لشلّ عملها، بحيث يتراجع دور المستشفى الحكومي والمدرسة الرسمية والجامعة اللبنانية وإدارات الدولة يوماً بعد

في قراءة هادئة للنشاط السياسي الذي يقوم به الجنرال عون، وتصعيده الكلامي على مستويات عدة، يُمكن الخروج بالخلاصات الآتية:

- يعتقد عون أن الفرصة سانحة اليوم لإجراء تعديلات دستورية جدية تهدف إلى تحويل النظام السياسي إلى نظام أكثر مدنيّة، وإلى إحداث تغييرات جذرية في البنية الاقتصادية السائدة في البلد منذ انتهاء الحرب الأهلية وإقرار دستور الطائف. وهو ما يُعبّر عنه بإصراره على إطاحة الحريريّة؛ وهذا الأمر الذي يُشير إليه فريق رئيس الحكومة سعد الحريري بكلمة «الانقلاب».

ففي عام 1990 توقفت الحرب الأهلية بناءً على تسوية سعودية - سورية - أميركية،